قراءة في كتاب

جَمَالُ المَرأةِ وَجَلَالُهَا

قراءة: **ميرفت إبراهيم**[1]

ملخّص

تتناول هذه المراجعة كتاب «جمال المرأة وجلالها» لـ(الشيخ عبد الله جوادي آملي)، الذي يُعدّ من أبرز الدراسات المعاصرة في مقاربة قضيّة المرأة ضمن إطار فلسفيّ وعرفانيّ وقرآنيّ متكامل. ينطلق المؤلّف من فرضيّة أساس مفادها أنَّ حقيقة الإنسان تتمثّل في الروح المجرّدة عن الذكورة والأنوثة، وأنَّ مراتب الكمال الإنسانيّ والقرب الإلهيّ جميعها تتعلّق بهذه الحقيقة الروحيّة لا بالخصائص الجسديّة؛ ومن خلال توظيف متداخل لمصادر المعرفة الثلاثة: القرآن والعرفان والبرهان العقليّ، يسعى الكتاب إلى إعادة بناء صورة المرأة في الفكر الإسلاميّ بعيدًا عن القراءات التي تجعل التمايز البيولوجيّ أساسًا للتفاضل المعنويّ.

تعرض المراجعة البنية العامّة للكتاب وأطروحاته الرئيسة، بدءًا من تأسيسه لمفهومي الجمال والجلال بوصفهما تجلّيين للأسماء الإلهيّة، مرورًا بمعالجة مكانة المرأة في القرآن وموقعها في مسار التكامل الإنسانيّ والخلافة الإلهيّة، ووصولاً إلى الاستدلالات العرفانيّة والفلسفيّة التي يعتمدها المؤلّف لنفي أيّ أثر للذكورة والأنوثة في حقيقة الإنسان وكماله.

الكلمات المفتاحية: المرأة، الأنوثة، القوامة، المساواة.

١ - باحثة في مجال الأديان المقارنة، ومدرّسة في جامعة المعارف وجامعة المصطفى العالميّة.

Reading a Book

Beauty, Majesty of Woman

Mervat Ibrahim [1]

Abstract

This review examines the book "Beauty, Majesty of Woman" by Sheikh Abdullah Jawadi Amoli, considered one of the most prominent contemporary studies approaching the issue of women within a comprehensive philosophical, mystical, and Qur'anic framework. The author begins with the fundamental premise that the essence of humanity lies in the spirit, transcending masculinity and femininity, and that all levels of human perfection and divine closeness are related to this spiritual reality, not to physical characteristics. Through the interwoven application of three sources of knowledge, the Qur'an, mysticism, and rational proof, the book seeks to reconstruct the image of woman in Islamic thought, moving beyond interpretations that base moral distinctions on biological differences. It presents the general structure of the book and its main arguments, starting with its establishment of the concepts of beauty and majesty as manifestations of the divine names, passing through addressing the status of women in the Qur'an and their position in the path of human integration and divine succession, and reaching the mystical and philosophical arguments that the author adopts to deny any effect of masculinity and femininity on the reality of man and his perfection.

Keywords:

Woman, Femininity, Guardianship, Equality.

1 - A researcher in comparative religions, a teacher at Al-Maaref University and Al-Mustafa International University.

بطاقة الكتاب

عنوان الكتاب: جمال المرأة وجلالها.
مؤلف الكتاب: الشيخ جوادي آملي.
دار النشر: دار الهادي - لبنان/بيروت.
رقم الطبعة: طبعة أولى/عام ١٩٩٤م.
عدد الصفحات: ٤٠٥ صفحة مع الفهارس ولائحة المصادر والمراجع.

مقدّمة

تندرج قضايا المرأة ومكانتها في الإسلام ضمن أكثر الموضوعات إثارةً للجدل في الفكر الدينيّ المعاصر، نظرًا لما يرتبط بها من إشكالات تفسيريّة وفقهيّة وفلسفيّة تتّصل بطبيعة العلاقة بين المرأة والرجل ومعيار التفاضل بينهما وحدود أدوارهما في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وفي هذا السياق يأتي كتاب «جمال المرأة وجلالها» لـ(الشيخ جوادي آملي) بوصفه محاولةً فكريّةً متكاملةً لإعادة قراءة هذه القضيّة من منظار قرآنيّ وعرفانيّ وفلسفيّ، يتجاوز الاقتصار على الأحكام الفقهيّة الجزئيّة إلى البحث في الأسس المعرفيّة التي يقوم عليها التصوّر الإسلاميّ للإنسان.

والكتاب في أصله خلاصة سلسلة من المحاضرات والدروس التي ألقاها المؤلّف في جامعة

الزهراء بمدينة قم سنة ١٩٨٩م، أمام مجموعة من طالبات العلوم الدينيّة في المراحل المتقدّمة، ثم أُعيد تنظيمها وتنقيحها لتصدر في صورة عمل متكامل، كما جرت الاستفادة في صياغة بعض مباحثه من حوارات علميّة ونقاشات أكاديميّة تناولت قضايا المرأة، ومن أسئلة وإشكالات طُرحت في مراكز متخصّصة بدراسات المرأة، الأمر الذي منح الكتاب بُعدًا حواريًّا وجعله موجّهًا للإجابة عن جملة من التساؤلات الفكريّة والاعتراضات المعاصرة المتعلّقة بمكانة المرأة في الإسلام.

ولا تنبع أهميّة هذا الكتاب من معالجته لموضوع المرأة فحسب، بل من المنهج الذي يعتمده في مقاربة هذه القضيّة؛ إذ يسعى المؤلّف إلى بناء رؤية متكاملة تنطلق من القرآن الكريم وتستعين بالبرهان العقليّ والكشف العرفانيّ لفهم حقيقة الإنسان وموقع الذكورة والأنوثة في مسار الكمال الإنسانيّ. ومن هنا لا يطرح الكتاب المرأة بوصفها موضوعًا اجتماعيًّا أو فقهيًّا فحسب، بل باعتبارها جزءًا من مشروع أوسع يتناول حقيقة الإنسان، والخلافة الإلهيّة، والولاية، ومعيار التفاضل الروحيّ، والعلاقة بين الجمال والجلال في النظام الوجوديّ.

وقد أتى الكتاب في مقدّمة وثلاثة أقسام رئيسة وقسم ختاميّ لعرض حلّ الشبهات والروايات المعارضة على النحو الآتي:

مقدّمة الكتاب

يبدأ المؤلّف مقدّمته بتحديد معنى الجمال والجلال بوصفهما اسمين إلهيّين يشتركان مع سائر الأسماء الحسنى في الدلالة على الذات الإلهيّة الواحدة، مع تمايزهما من حيث جهة الظهور والتجلّي. ومن هذا المنطلق يبني تصوّرًا خاصًّا للعلاقة بين الرجل والمرأة، فالجمال عنده مستبطن بالجلال، والجلال مستبطن بالجمال، والمرأة مظهر للجمال الإلهيّ الذي يستبطن الجلال، في حين أنَّ الرجل مظهر للجلال الذي يستبطن الجمال، ولا يريد المؤلّف من هذا التوصيف تأسيس تفاضل بين الجنسين، بل يريد توزيعًا رمزيًّا للأدوار في إطار الرؤية الكونيّة للأسماء الإلهيّة. ومن هنا تصبح الرحمة والرأفة والعاطفة أقرب إلى مظهريّة المرأة، بينما يرتبط الجلال بالقوّة والعقلانيّة في مظهريّة الرجل، مع تأكيده المستمرّ أنَّ كلا البُعدين موجودان في

الطرفين معًا وإن اختلفت جهة الظهور.[١]

تشكّل هذه المقدّمة المدخل النظريّ لفهم بقيّة الكتاب؛ إذ يظلّ مفهوم «الاسم الإلهيّ» حاضرًا في المباحث اللاحقة جميعها، فالمرأة ليست موضوعًا اجتماعيًّا مستقلًّا، بل مظهرًا وجوديًّا لتجلٍّ إلهيّ مخصوص.

تمهيد

قبل الانتقال إلى عرض صورة المرأة في الرؤية القرآنيّة، يخصّص الكتاب هذا القسم بوصفه قسمًا تمهيديًّا، وهو في حقيقته تأسيس منهجيّ للبحث أكثر منه معالجة مباشرة لموضوع المرأة؛ ففي هذا القسم يحدّد المؤلّف طبيعة الموضوع من كونه المرأة مقابل الرجل[٢]، لا المرأة مقابل الزوج، ويوضّح منهجه في التفسير الموضوعيّ للقرآن، مبيّنًا تمايزه عن التفسير الترتيبيّ[٣]، كما يحدّد مصادر المعرفة المعتمدة في هذا البحث، وهي القرآن والبرهان والعرفان. وينطلق من فرضيّة أساس مفادها أنَّ هذه المصادر الثلاثة لا تتعارض في ما بينها، بل يشكّل كلٌّ منها طريقًا إلى الحقيقة الواحدة، بحيث يكون البرهان العقليّ والعرفان الشهوديّ خادمين للمعرفة القرآنيّة ومفسِّرَين لها لا بديلين عنها[٤]. كما يعرض الكيفيّة التي يعلّم بها القرآن معارفه عبر مستويات الحسّ والعقل والشهود، الأمر الذي يجعل دراسة المرأة جزءًا من رؤية قرآنيّة شاملة للإنسان والوجود.[٥]

وتكمن أهميّة هذا التمهيد في أنّه يرسم الإطار المعرفيّ الذي ستُبنى عليه النتائج اللاحقة جميعها، فلا تعود قضايا المرأة مسائل فقهيّة أو اجتماعيّة منفصلة، بل تصبح جزءًا من مشروع متكامل يستند إلى تضافر الوحي والعقل والكشف العرفانيّ.

---

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ١٨.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٤٩.
٣ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٣٧-٤١.
٤ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٥١.
٥ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٤٣.

القسم الأوّل: المرأة في نظر القرآن

يقدّم المؤلّف في هذا القسم أطروحته المركزيّة التي يمكن اعتبارها العمود الفقريّ للكتاب كلّه، ومفادها أنَّ القرآن لا ينظر إلى الإنسان من زاوية الذكورة والأنوثة، وإنّما من زاوية الإنسانيّة، فالروح هي حقيقة الإنسان، والبدن أداة من أدواتها[١]، والذكورة والأنوثة من شؤون البدن لا من شؤون الروح، ومن ثَمَّ فإنّ القيم والمعارف والفضائل والرذائل جميعها تتعلّق بالروح لا بالجسد، الأمر الذي يجعل موضوع الكمال الإنسانيّ خارج دائرة التمايز الجنسيّ.[٢]

ولإثبات هذه الأطروحة يستند المؤلّف إلى تحليل واسع للخطاب القرآني، فيميّز بين اللغة الحواريّة للقرآن وبين المعاني التي يقصدها؛ فاستعمال صيغ التذكير لا يدلّ عنده على اختصاص الخطاب بالرجال، بل يرجع إلى طبيعة اللغة العربيّة وأساليب التخاطب فيها[٣]. ومن هنا يفسرّ الآيات التي تتحدّث عن الإيمان والعمل الصالح والتقوى والعلم والهداية بوصفها موجّهة إلى الإنسان بما هو إنسان، لا إلى الرجل دون المرأة، كما يرى أنّ التصريح بالذكر والأنثى في بعض المواضع القرآنيّة جاء أساسًا لتصحيح التصوّرات الجاهليّة التي كانت تحصر الكمالات والفضائل بالرجال.[٤]

ومن أهمّ ما يلفت النظر في هذا القسم أنّ المؤلّف لا يكتفي بإثبات المساواة الخُلُقيّة بين الرجل والمرأة، بل يحاول تجاوز مفهوم المساواة نفسه إلى مستوى أعمق؛ إذ يعتبر أنَّ السؤال عن المساواة يفترض ابتداءً وجود موضوعين مختلفين في جوهرهما، بينما يرى أنّ موضوع الكمال الروحي واحد من الأصل؛ لأنّ الروح لا تتّصف بالتذكير ولا بالتأنيث.

ويعزّز المؤلّف موقفه من خلال استعراض عدد كبير من النماذج النسائيّة القرآنيّة، وعلى رأسها مريم عليها السلام و(آسية) وامرأة إبراهيم عليه السلام، ليؤكّد أنَّ القرآن قدّم المرأة باعتبارها نموذجًا إنسانيًّا عامًّا للاقتداء، لا نموذجًا نسويًّا خاصًّا، فالأسوة في القرآن ليست أسوة للنساء وحدهنّ، بل للإنسانيّة

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٦٠.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٦٢-٦٤.
٣ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٧٢-٧٦.
٤ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٨١.

جمعاء، وتُعدّ هذه الفكرة من أكثر الأفكار قوّة في الكتاب؛ لأنّها تستند إلى بنية الخطاب القرآني نفسه، وتفتح المجال لإعادة قراءة كثير من التصوّرات الموروثة عن العلاقة بين المرأة والكمال الروحي.

القسم الثاني: المرأة في العرفان

يمثّل هذا القسم الامتداد الطبيعي للمقدّمات القرآنيّة السابقة، فإذا كان القرآن قد أثبت أنّ حقيقة الإنسان هي الروح، فإنّ العرفان يتولّى بيان المراتب الوجوديّة التي تسلكها هذه الروح في مسيرها نحو الكمال، ولذلك يجعل المؤلّف مفهوم الخلافة الإلهيّة محور هذا القسم.

يرى الكاتب أنّ الخلافة ليست منصبًا شخصيًّا يختصّ بآدم الفرد، بل مقامًا وجوديًّا يتعلّق بالإنسانيّة الكاملة[١]، ولأنّ الإنسانيّة منزّهة عن الذكورة والأنوثة، فإنّ بلوغ مقام الخلافة الإلهيّة لا يختصّ بالرجال دون النساء. ويعترف المؤلّف بأنّ التاريخ حفظ أسماء رجال أكثر ممّن بلغوا هذه المقامات، لكنّه يفسّر ذلك بعوامل اجتماعيّة وثقافيّة لا بعوامل ذاتيّة ترتبط بقابليّة المرأة.[٢]

ويظهر في هذا القسم تأثّر المؤلّف الواضح بالتراث العرفاني، خصوصًا عند حديثه عن الإنسان الكامل والأسفار الأربعة والولاية الإلهيّة ومظهريّة الأسماء الحسنى. فالولاية عنده هي الحقيقة الباطنيّة للنبوّة، وهي مفتوحة أمام المرأة والرجل على السواء، حتى وإن كانت النبوّة التشريعيّة مختصّة بالرجال، ومن خلال هذا التمييز بين الولاية والنبوّة يحاول المؤلّف معالجة واحدة من أهمّ الإشكالات التي أُثيرت في تاريخ الفكر الإسلامي عن عدم وجود نساء أنبياء مشرّعات.[٣]

ويحتلّ موضوع «طريق القلب» موقعًا مركزيًّا في هذا القسم، فالمؤلّف يواجه الاعتراض القائل إنّ بعض الدراسات تنسب إلى المرأة ضعفًا في القدرة العقليّة أو الفكريّة، فيردّ بأنّ المعرفة الإلهيّة لا تنحصر في طريق العقل النظريّ، بل تقوم أيضًا على طريق القلب، والمحبّة، والذكر، والموعظة، وإذا افترضنا جدلاً وجود تفاوت في بعض القدرات الذهنيّة، فإنّ ذلك لا يقتضي أيَّ تفاوتٍ في

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص١٥٩.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص١٦٥.
٣ -جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٢٣١.

إمكان الوصول إلى الكمال الروحيّ؛ لأنّ القلب يمثّل طريقًا موازيًا للعقل وربما أكثر مركزيّة منه في طريق الكمال الإنسانيّ والطرق الإلهيّة، ويبيّن الكاتب في هذا السياق أنّ العلم، سواء أكان نظريًّا أم عمليًّا، ليس غاية في ذاته، بل هو مقدّمة للعمل، بينما يرتبط العمل بالقلب لا بالعقل، ومن ثَمّ فإنّ كمال الإنسان لا يتحقّق بكمال قوّة النظر وحدها، بل بالتحليق بجناحي العقل والقلب معًا[١]، حيث يلتقي الإدراك النظريّ بالفعل الروحيّ في بناء الإنسان الكامل، كما يرفض المؤلّف الاستدلال بالفوارق البدنيّة لإثبات تفوّق أحد الجنسين على الآخر، مؤكّدًا أنّ معيار الوصول إلى الكمالات ليس صلابة البدن وقوّته، بل سلامته وقدرته على خدمة المسير الروحيّ.[٢]

وفي إطار تعميقه لمركزيّة القلب في التجربة العرفانيّة، يعيد المؤلّف الاعتبار للعاطفة بوصفها طاقة معرفيّة وروحيّة وليست مجرّد انفعال نفسيّ، فالمحبّة والرأفة واللين ليست علامات ضعف، بل قد تكون طريقًا أقربَ إلى الله من طريق القوّة والصلابة. ومن هنا، تصبح الخصائص التي صُوّرت تاريخيًّا باعتبارها علامات نقص نسويّة عناصر إيجابيّة في مسار التكامل الروحيّ.

ويبلغ هذا التصوّر ذروته عندما يستحضر رؤية (محيي الدين بن عربي) في مظهريّة المرأة للأسماء الإلهيّة؛ حيث يرى أنّ المرأة أكمل من الرجل من جهة مخصوصة؛ لأنّ الرجل مظهر للقَبول والانفعال الإلهيّ، في حين تجمع المرأة بين مظهريّة القَبول والانفعال من جهة، ومظهريّة الفعل والتأثير من جهة أخرى، بما يجعلها أكثر شمولاً في تجلّي بعض الأسماء الإلهيّة، ويختتم المؤلّف هذا القسم باستعراض نماذج نسويّة بلغت مقامات عرفانيّة رفيعة، وفي مقدّمتهنّ (رابعة العدويّة) و(رابعة الشاميّة) و(رابعة بنت إسماعيل)، بوصفهنّ شواهدَ تاريخيّةً على قدرة المرأة على بلوغ أعلى مراتب السلوك الروحيّ والولاية العرفانيّة.[٣]

القسم الثالث: المرأة في البرهان

يسعى المؤلّف في هذا القسم إلى تقديم الأساس الفلسفيّ والعقليّ للأطروحات السابقة،

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ١٩٥.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص١٩٩.
٣ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٢٣٢-٢٣٣.

وينطلق المؤلّف هنا من المفاهيم الميتافيزيقيّة للحكمة الإسلاميّة، ولا سيّما التمييز بين الذات والعرض، وبين الصورة والمادّة، وبين المقوِّمات والمصنِّفات.

ويؤكّد أنَّ الذكورة والأنوثة ليستا من المقوّمات الجوهريّة للإنسان، بل من العوارض التابعة للمادّة، أمّا حقيقة الإنسان فهي النفس الناطقة التي لا تتحدّد بالانتماء الجنسيّ، ومن ثَمّ فإنّ الكمالات الإنسانيّة جميعها تتعلّق بما هو جوهريّ في الإنسان لا بما هو عرضيّ فيه.[١]

ويتعمّق المؤلّف في هذا السياق من خلال الاستناد إلى نظريّة «جسمانيّة الحدوث وروحانيّة البقاء» عند (الملا صدرا)، فالروح وإن نشأت في سياق الحركة الجوهريّة للمادّة، لكنّها تبلغ مرتبة من التجرّد تتجاوز فيها جميع الخصائص الماديّة، ومنها الذكورة والأنوثة، وهكذا تصبح الفروق الجنسيّة مرتبطة بمرحلة من مراحل الوجود الإنسانيّ، لا بحقيقته النهائيّة.[٢]

ومن أهم النقاط التي يناقشها المؤلّف في هذا القسم مسألة العقل، فهو يميّز بين العقل بوصفه قدرةً معرفيّةً نظريّةً وبين العقل بوصفه ملكةً خُلُقيّةً وروحيّةً «يُعبد به الرحمن وتُكتسب به الجنان». ويعتبر أنّ التفوّق المحتمل في بعض أشكال الذكاء النظريّ لا يدلّ على أيّ تفوّق في معيار القرب الإلهيّ؛ لأنّ المعيار الحقيقيّ هو التقوى والعقل العمليّ. ومن هنا، يرفض الاستدلال بالفروق المعرفيّة أو البيولوجيّة لإثبات أفضليّة أحد الجنسين على الآخر، مؤكّدًا أنّ قيمة الإنسان لا تُقاس بمقدار ما يمتلكه من قدرات ذهنيّة أو مهارات تدبيريّة، بل بمقدار ما يحقّقه من تهذيب للنفس وتزكية للروح.[٣]

وفي ضوء هذا الفهم، يشدّد المؤلّف على الحضور الفاعل للمرأة في مجالات الفكر والسياسة والاجتماع، مستندًا إلى نماذج قرآنيّة وتاريخيّة متعدّدة تكشف عن النبوغ الفكريّ والوعي الاجتماعيّ والقدرة على التأثير في المجال العام، فيستحضر شخصيّات نسويّة برزت في الميادين الدينيّة والسياسيّة والأدبيّة، ليؤكّد أنّ المشاركة في الشأن العام والقيام بالأدوار الاجتماعيّة ليست حكرًا على الرجال، وأنّ ما يملكه الإنسان من قابليّات عقليّة وروحيّة هو الذي يحدّد موقعه

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٢٤٨.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٢٥١.
٣ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٢٦٣-٢٦٤.

ودوره، لا مجرّد انتمائه إلى أحد الجنسين. حلّ الشبهات والروايات المعارضة

بعد أن انتهى الكتاب من بناء أطروحته المركزيّة القائلة إنّ حقيقة الإنسان هي الروح المتجرّدة عن الذكورة والأنوثة، انتقل في القسم الأخير إلى مواجهة مجموعة من الإشكالات التي طالما استُعملت في التراث الإسلاميّ المعاصر لإثبات تفوّق الرجل أو نقص المرأة، وتتمثّل أهميّة هذا القسم في أنّه لا ينطلق من الدفاع المباشر عن المرأة، بل يحاول إعادة تفسير تلك النصوص في ضوء الأسس المعرفيّة التي سبق أن أسّسها في الأقسام السابقة.

يناقش المؤلّف أوّلاً مسألة شهادة المرأة ونسيانها وما يرتبط بها من آية ﴿**...وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى...**﴾ [البقرة: ٢٨٢]، رافضًا تفسيرها على أنّها دليل على نقص ذاتيّ في عقل المرأة. فبحسب منهجه العامّ، يفسّر هذه الأحكام ضمن إطار الوظائف الاجتماعيّة والتنظيميّة المرتبطة بظروف المجتمع لا باعتبارها حكمًا على القيمة الوجوديّة أو الكمال الروحيّ للمرأة.[١]

كما يعالج الروايات التي ورد فيها ذمّ النساء أو التحذير من حبّ المرأة، ويرى أنّها لا تتناول حقيقة المرأة بما هي إنسان، بل تتناول حالات تربويّة أو خُلُقيّة خاصّة، أو تحذّر من التعلّق الشهوانيّ الذي يحجب الإنسان عن الله. ومن هنا، يميّز بين المرأة بوصفها مظهرًا من مظاهر الجمال الإلهيّ وبين التعلّق المَرَضيّ بالشهوة بوصفه عائقًا في طريق السلوك الروحيّ، وبهذا يسعى إلى رفع التعارض بين النصوص التي تمدح المرأة والنصوص التي تبدو في ظاهرها منتقصة منها.[٢]

ومن الإشكالات التي يعالجها الكاتب في القسم ما يعبرّ عنه بـ«سرّ الفرق بين المرأة والرَّجل»، حيث يرفض تفسير الفوارق بينهما على أساس التَّفاضل الوجودي أو المعنوي، وينطلق في ذلك من مبدأ قرآني عام يقوم على أنَّ نظام الخلق قائم على التَّفاوت والتَّنَوُّع بين الموجودات من أجل

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٣٢٤.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٣٢٥.

تحقيق الانسجام والتَّكامل المتبادل، لا من أجل إثبات تفوُّق طرف على آخر، فالاختلاف في القابليّات والاستعدادات، كما الاختلاف في الميول والوظائف، لا يمثّل معيارًا للفضيلة أو القرب من الله، بل يندرج ضمن منطق «التَّسخير المتبادل» الذي يقوم عليه انتظام الحياة الإنسانيّة. ومن هذا المنظار يرى المؤلّف أنَّ ما يملكه الرَّجل أو المرأة من مزايا خاصّة لا يدلّ بذاته على كمال روحيّ أو منزلة معنويّة أعلى؛ لأنَّ معيار الفضيلة الحقيقيّ هو الإخلاص والتَّقوى والقرب من الله.[١]

وفي السِّياق نفسه يتناول مسألة قوامة الرَّجل، معتبراً أنَّها مرتبطة بمسؤوليّات تنفيذيّة وإداريّة داخل البناء الاجتماعي، لا بمقام روحيّ أو إنسانيّ أعلى، فالفرق بين الرَّجل والمرأة عنده يقع في دائرة الوظائف العمليّة المرتبطة بإدارة المجتمع والأسرة، لا في دائرة الكرامة الإنسانيّة أو إمكان الوصول إلى الكمال. ولهذا يكرّر المؤلّف مرارًا أنَّ ما يترتّب عليه تفاوت بين الجنسين في الفقه لا يعود كلّه إلى معيار التَّفاضل الحقيقيّ بين البشر.[٢]

ومن القضايا التي يناقشها أيضًا مسألة القضاء، والمرجعيّة، والولاية العامّة، والجهاد، والهجرة، والحجاب، والإرث، والدّية، وفي هذه الموضوعات جميعها يعتمد المنهج نفسه، من التَّركيز على كون بعض الأمور تتعلّق بالبدن وبُعدها اقتصاديّ بحت كما في الدّية من جهة، ومن جهة أخرى يعتمد التَّمييز بين «الأعمال التَّنفيذيّة» وبين «المقامات المعنويّة»، فالأولى تخضع لتقسيم الوظائف ومتطلّبات النِّظام الاجتماعي، بينما الثَّانية ترتبط بحقيقة الإنسان وروحه، وهي المجال الذي لا وجود فيه لأيّ امتياز ذكوريّ. ولذلك يؤكّد أنَّ الإسلام لم يشترط الذُّكورة في أيّ كمال معنويّ، وأنَّ أبواب القرب الإلهيّ جميعها مفتوحة أمام المرأة كما هي مفتوحة أمام الرَّجل. ويستثمر المؤلّف في هذا السِّياق شخصيّة السَّيِّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بوصفها النَّموذج الأعلى للمرأة في الإسلام، فهو لا يكتفي بعرضها مثالاً خُلُقيًّا أو روحيًّا، بل يجعلها شاهدًا على إمكان بلوغ المرأة أعلى مراتب العصمة والولاية والحُجِّيّة الدِّينيّة. ومن هنا، يذهب إلى اعتبار

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٣٤١-٣٤٣.
٢ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص٣٤٣.

أقوالها وأفعالها جزءًا من السُّـنّة الإسـلاميّة المحتجّ بها، الأمر الذي يمنح المـرأة موقعًا معرفيًّا ودينيًّا متقدّمًا.

وتبلغ هذه المعالجة ذروتها في نقده للقراءات الغربيّة والحداثيّة لمسـألة المرأة في الإسلام، فالمؤلّف يرى أنَّ كثيراً من الانتقادات الموجّهة إلى الإسلام تنطلق من رؤية ماديّة للإنسان تحصر قيمته في الأبعاد الجسديّة والاجتماعيّة، بينما ينطلق الإسلام - بحسب تفسيره - من رؤية وجوديّة وروحيّـة تجعل معيار التَّفاضـل الحقيقيّ هو التَّقوى والكمال الإنسـانيّ، ومن ثَمَّ فإنَّ كثيراً من الإشكالات المثارة عن المرأة تنتج، في نظره، عن سوء فهم للأسس الفلسفيّة والمعرفيّة التي يقوم عليها التَّصوّر الإسلاميّ للإنسان.[1]

١ - جوادي آملي: جمال المرأة وجلالها، ص ٣٥٢.